بحث تاريخي

أديرة وكنائس قبطية في مصر باسم "القديس أبو فام"

الأستاذة الدكتورة/ شيرين صادق الجندي

أستاذ الآثار والفنون القبطية

ورئيس قسم الإرشاد السياحي بكلية الآداب – جامعة عين شمس

القديس أبو فام / بيفام Phoibammon /Abufam / Abu Bifam[1]**:**

(الشكل رقم ١) أيقونة حديثة للقديس "أبو فام الجندي" بطما http://abahoor.blogspot.com/ 2018/04/blog-post_47.html

وُلِدَ الشهيد أبو فام **(الشكل رقم ١)** في أواخر النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي في مدينة أوسيم (ويقصَد باسم **Phoibos**، "صاحب الطلعة البهيَّة") بالجيزة[2] من أبوين مسيحيَّيْن تقيَّيْن هما: أنسطاسيوس (أنستاسيوس) **وسوسنَّة**، وكان والده أنسطاسيوس رجُلًا غنيًّا وتقيًّا مُحبًّا للفقراء والمساكين. كما كانت **أُمُّه سوسنَّة** امرأة مُتعبِّدة. وقد رباه والداه تربية دينية، فشَبَّ على خوف الله والشفقة على المساكين والمُحتاجين، مواظبًا على الصلاة والصوم. فما إن اشتدَّ عود الصبي حتى أرسله والده إلى كاهنٍ قديس يُدعى أرسانيوس ليتتلمذ على يديه، ولكي يُعلِّمه الكُتُب المقدَّسة وتعاليم الكنيسة. وكان أبو فام حينذاك في التاسعة من عمره، وبالرغم من الغِنَى الشديد الذي كان يُحيط بالصبى إلَّا أنه عاش حياة نُسكية زاهدة. ويُعتَقَد أن القديس "أبو فام الجندي" كان خال الشهيد يوحنا الهرقلي الأمير.

وعرض عليه أبواه الزواج فلم يَقْبل، ولمَّا أثار الإمبراطور الروماني دقلديانوس الاضطهاد على أقباط مصر، تَقدَّم القديس أبو فام إلى والي المنطقة واعترف أمامه بإيمانه بالسيد المسيح فعذَّبه كثيرًا. وتصادف وجود أريانوس والي أنصنا بأوسيم، فأخذ القديس معه إلى قاو في صعيد مصر وهناك ربطه في ذيل حصان وطاف به المدينة كلها. وأخيرًا، وبعد مراحل

---

(1) "Bifam is a Variant of Phoibammon" *CoptEnc.* 3, (ed) A.S. ATIYA, New York, 1991, 696a-969b.

(٢) *الشهيد العظيم أبو فام الجندي الأوسيمي؛* نبيل سليم وجرجس المنياوي، *مار يوحنا الهرقلي والثلاثة بيفام القديسين*، ١٩٦٦.

طويلة من التعذيب والاضطهاد، أَمَرَ الوالي بقطع رأس القديس "أبو فام" فنال إكليل الشهادة. وأَخَذَ بعض المؤمنين جسده الطاهر وكفَّنوه ودفنوه في غرب مدينة طما وبُنِيَت له كنيسة باسمه. وفيما بعد، ظهرت من جسده آياتٌ وعجائبُ كثيرة.

وقد أشار المؤرِّخ المملوكى المقريزي (القرن ٩ هـ/ القرن ١٥م) إلى أنَّ القديس أبا فام كان جنديًّا في عصر الإمبراطور الروماني دقلديانوس[٣] (٢٨٤-٣٠٥م). وفي رواية أُخرى، لُقِّب القديس "أبو فام" بالجندي مع إنه لم يكن من الضباط أو الجنود، ذلك لأنه عاش كجندي صالح ليسوع المسيح مُلتزمًا بوصاياه. كما يُعرَف هذا القديس حاليًّا باسم: "القديس أبو فام الجندي الأوسيمي الشهيد". كما يوجد قديس آخر يُعرَف باسم: "أبو فام الطحاوي الشهيد"[٤] والذى نشأ في مدينة طحا، بالإضافة إلى شهيد ثالث يحمل نفس الاسم. ويَرَى البعض أنَّ القديس "أبو فام الجندي" هو نفسه القديس أبو فام الطحاوي.

ومن أهم ألقاب القديس "أبو فام الجندي الأوسيمي":

- **بو خمسمائة،** حيث كان هذا القديس يملك خمسمائة عبد، ونالوا جميعهم إكليل الشهادة بعد اعتناقهم المسيحية.
- **صاحب الثلاثة أكاليل،** حيث أخبره رئيس الملائكة ميخائيل بأنه سينال ثلاثة أكاليل: إكليل البتولية - إكليل الجهاد - إكليل الشهادة.
- **شفيع إيبارشية طما،** لأنه مدفون في كنيسته بطما إلى اليوم.

ويظهر القديس أبو فام الجندي في زخارف الأيقونات القبطية بهيئة القديس الفارس الذي يمتطي جواده ليطعن ثعبانًا أو تنينًا كما هو الحال لكثير من أشهر القدِّيسين الأقباط، مثل: مار جرجس، ومار بقطر بن رومانوس، ومار مينا العجائبي، والقديس كلاوديوس، والقديس تواضروس المُحارب، وغيرهم.

دير القديس فيبامون "أبو فام" غرب الأقصر:

شُيِّد هذا الدير في القرن الرابع الميلادي على بُعْد ثماني كيلومترات غرب وادي الملكات بمدينة الأقصر. ويتكوَّن هذا الدير من طابقين، وعُثِر بداخله على كثيرٍ من الكتابات باللغة

---

(٣) المقريزي، كتاب: *"المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار"*، طبعة بولاق، القاهرة، ١٨٥٣، مجـ٢، ص ٥٠٦-٥٠٧؛ وطبعة ١٨٤٥، ص ٤٢-٤٣، ١٠٥.

(4) https://www.chjoy.com/vb/showthread.php?t=13739.

القبطية. وتمَّ اكتشاف هذا الدير بواسطة جمعية الآثار القبطية[٥] Société d'archéologie copte. ويخلط البعض بين هذا الدير ودير إبيفانيوس Epiphanius في غرب الأقصر **(الشكل رقم ٢)**، والذي يبعد حوالي أربعمائة متر عن معبد الدير البحري. وقد اكتشفه أعضاء البعثة الأثرية التي وصلت إلى مصر من متحف المتروبوليتان بنيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية في القرن العشرين[٦]. كما يخلط البعض أيضًا بين كنائس وأديرة القديس "أبو فام" القبطي ودير القديس "أبو فانا"[٧] في ملوي غرب قصر هور بالمنيا لتشابه الاسمين.

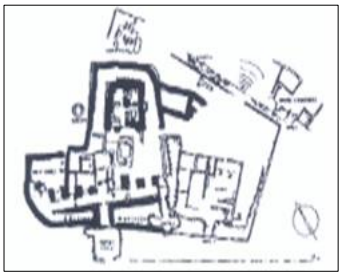

(الشكل رقم ٢) دير القديس إبيفانيوس غرب الأقصر، نقلًا عن الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة فى مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٢٠٥.

كنيسة أبو فام بطما بسوهاج:

شُيِّدت كنيسة القديس "أبو فام الجندي" القديمة في طما بسوهاج بالقرب من كنيسة أُخرى أقدم للقديسة دميانة[٨]. وبُنِيَت الكنيستان في الموقع القديم للكنيسة الأثرية المعروفة باسم: "القديس أبو فام" شفيع المكان. وبالكنيستين أحجبة خشبية مُطعَّمة. والجدران الداخلية لكلِّ كنيسة منهما تُزيِّنها بعض الأيقونات البديعة. كما احتوت هاتان الكنيستان على بعض المخطوطات الهامة.

وتُغطِّي الكنيستين قباب تمَّت إضافتها في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي أو في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي. وفي قائمة سومر كلارك[٩] S. Clarke، وردت الإشارة إلى الكنيسة التي كُرِّست لأبي فام في طما وأخرى دُشِّنت للقديس أوليمبوس المعروف في اللغة العربية باسم: أبو ليمبة Abu Limbah.

---

(٥) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٢٠٥.

(٦) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٢٠٥.

(٧) شيرين صادق الجندى، "التنمية السياحية والأديرة القبطية: دير أبو فانا نموذجًا"، المجلة *المصرية للدراسات السياحية*، مجـ ١٦،ع ٢، جـ ١"، القاهرة (٢٠١٧)، ص ١-٢٥.

(٨) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٧٧؛ القمص تادرس يعقوب ملطي، "قاموس آباء الكنيسة وقديسيها مع بعض شخصيات كنسية".

(9) W.E. CRUM, *the Monastery of Epiphanius at Thebes*, vol.1, New York, 1926, pp. 101-110; R.-G. COQUIN, "Dayr Abu Bifam (Tima)", *CoptEnc*.3, (ed.) A.S. ATIYA, New York, 1991, 697a.

وأشار المؤرِّخ المملوكي المقريزي كذلك إلى كنيسة "القديس أبو فام"[١٠]. وقد ذَكَرَ هذا المؤرِّخ القديس "أبو فام" باسم: "أبوغام Abugham"، فلعله أخطأ في قراءة أو في سماع اسم القديس. واعتقد المقريزي أيضًا بأن ديرًا أُقيم للقديس "أبو فام الجندي" خارج طما في سوهاج على الضفة اليُسرى لنهر النيل على بُعْد ما يقرب من ٢٠ كم/١٥ ميلًا من أبو تيج، غير أنه حاليًّا لا يوجد دير بهذا الاسم. ويُعتَقد أن الدير الذي أشار إليه المقريزي في قرية سلمون هو بالقرب من طما، حيث أكَّد المقريزي كذلك أن دير بيفام موجود خارج طما وأن أهلها نصارى، لكن مع اتساع العمران صار داخل المدينة من الجهة القبلية، وهو يقع وسط المقابر.

كنيسة الشهيد "أبو فام الجندي" في دمنو في محافظة سوهاج:

أُشير إلى الكنيسة الأثرية للشهيد "أبو فام الجندي الشهيد" في الدفنار في ٢٧ أبيب كالآتي: "تكريس بيعة الشهيد "أبو فام" بدمنو". كما وردت الإشارة إليها في القرن الثاني عشر الميلادي في مؤلَّف تاريخ أبو المكارم كما يلي: "أيضًا بناحية دمنو بيعة من البَر الغربي على اسم القديس الجليل أبي فام"[١١]. وفي القرن الثالث عشر الميلادي، ذكر ياقوت الحموي[١٢] وجود كنيسة عظيمة في دِمْنُو يجتمع بها "النصارى" للزيارة، وقد تكون هي تلك الكنيسة أو غيرها من الكنائس أو الأديرة في المنطقة. واندثرت هذه الكنيسة القديمة والبعض يجهل مكانها الأصلي.

وفى أوائل السبعينيات، أُنشئت جمعية الأقباط التي تحوَّلت في سنة ٢٠٠٠م إلى الكنيسة الحديثة التي كُرِّست في نفس المكان لذات القديس على أربعة مذابح: ثلاثة منها موجودة بالكنيسة الرئيسية كالآتي:

المذبح الرئيسى: وكُرِّس للقديس "أبو فام".

المذبح الشمالي: وهو مذبح العذراء مريم.

المذبح الجنوبي: ويُعرَف باسم مذبح الملائكة.

بالإضافة إلى وجود مذبح في مبنى الخدمات مكوَّن من خمسة أدوار.

---

(١٠) المقريزي، كتاب: *"المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار"* ، طبعة بولاق، القاهرة، ١٨٥٣، مجـ ٢، ص ٥٠٧؛ وطبعة ١٨٤٥، ص ٤٣، ١٠٥.

(١١) *تاريخ أبو المكارم عن الكنائس والأديرة في القرن "١٢" بالوجه القبلى*، جـ.٢، إعداد: الأنبا صموئيل أسقف شبين القناطر وتوابعها، القاهرة، ص١١٣.

(١٢) ياقوت الحموي، كتاب: *"معجم البلدان"* ، مجـ ٢.

كنيسة الشهيد "أبو فام الطحاوي" بأبنوب في محافظة أسيوط:

ذكَرَ أبو صالح الأرمني دير القديس "أبو فام الجندي" في أسيوط[١٣]، وأشار إلى أنه كان يُعرَف باسم: دير التينادة Dayr al-Tinadah. كما اعتقد أبو صالح الأرمني أنَّ جسد القديس أبا فام قد وُضِعَ في هذا الدير. وكتب أيضًا ياقوت الحموي عن هذا الدير في أعوام ١٨٦٦-١٨٧٣م في المجلَّد الثاني من مؤلَّفه[١٤].

ووردت الإشارة إلى ديرين للقديس "أبو فام الجندي" كذلك بواسطة المقريزي: الأول هو دير كرفونا Dair Karfunah في الحاجر Hagir في المنطقة الواقعة بين الأرض الزراعية وجبل أسيوط أو ربما بالقرب من دير أدرونكة أو درونكة[١٥]. والدير الثاني هو دير نفس القديس في طما المُشار إليه بأعلاه. ويرى كلٌّ من رينيه جورج كوكان وموريس مارتان أنه لا يوجد في هذه المنطقة دير منسوب للقديس "أبو فام القبطي"، بل هو دير لشهيد وقديس ذُكِرَ اسمه في بعض المخطوطات القبطية والعربية، وكان جنديًّا في معسكر *castrum* Aprahat بالقرب من قرية الشيخ عبادة Antinopolis بالمنيا. وقد استُشهِدَ هذا القديس في أسيوط ودُفِن بالقرب من هذا المكان. ويتمُّ الاحتفال بعيده في اليوم الأول من شهر بؤونة[١٦]. ويختلف هذا الرأي تمامًا عمَّا ورد في رواية المقريزي.

وتُنسَب هذه الكنيسة المعروفة أيضًا باسم: "كنيسة مار فام" في الغالب إلى القديس "أبو فام الطحاوي الشهيد" الذي كان من مُقدَّمي قصر إبرجت. وقد تقابل هذا القديس مع الشهيد بقطر بن رومانوس الوزير بعد وصوله إلى أرض مصر. وعندما طلب الوالي منه السجود للأوثان، رفض، فتم تعذيبه ثم استشهاه في حضور أخته سارة.

دير أبو فام في سمالوط:

أشار أبو صالح الأرمني فقط دون غيره من المؤرِّخين إلى دير سمالوط بالقرب من

---

(13) Abu Salih the Armenian, *the Churches and Monasteries and Some Neighbouring Countries*, attributed to Abu Salih the Armenian, Edited and Translated by T.A. Evetts, …with Added Notes by A.J. Butler, Oxford, 1895, fols. 60, 90, pp. 56, 114 (Text), 179, 251 (Trans.).

(١٤) ياقوت الحموى، كتاب: *"معجم البلدان"* ، مجـ٢، ١٩٠٦، ص ٦٤٩.

(١٥) المقريزي، كتاب: *"المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار"* ، طبعة بولاق، القاهرة، ١٨٥٣، مج ٢، ص ٥٠٦-٥٠٧، وطبعة ١٨٤٥، ص ٤٢-٤٣، ١٠٥؛

Yaqut, *Geographisches Wörterbuch (Mucjam al-Buldan)*, 6 vols., ed. F.Wüstenfeld, Leipzig, 1866-1873; W.E. Crum, *the Monastery of Epiphanius at Thebes*, vol.1, New York, 1926, 109-110; R.G. Coquin & S.J. Maurice Martin, "Dayr Abu Bifam", CoptEnc.3, (ed.) A.S. Atiya, New York, 1991, 696a-696b.

(16) R.G. Coquin & S.J. Maurice Martin, "Dayr Abu Bifam", *CoptEnc.3*, (ed.) A.S. Atiya, New York, 1991, 696a-696b.

الأشمونين، حيث توجد كنيسة باسم: "الشهيد أبو فام"، وكتب هذا المؤرِّخ أيضًا اسم: Abu Bagham، غير أن بيفام هو اسم فيبامون Phoibammon. وفي السنكسار، توجد إشارة إلى اثنين من القدِّيسين الأقباط باسم فيبامون. يُحتَفَل بعيد الأول منهما وهو شهيد طما، يوم ٢٧ طوبه. وفي الأول من شهر بؤونة، يتم الاحتفال بعيد الشهيد الثاني، والذي استُشهِدَ ودُفِن بالقرب من أسيوط. كما تحتفل الكنيسة القبطية الأرثوذكسية أيضًا بذكرى تكريس كنيسة "القديس أبو فام" في طما بسوهاج في يوم ٢٧ أبيب وهو نفس يوم ذِكرى ميلاد القديس، إلى جانب تكريس كنيسة "الشهيد أبو فام الجندي" في أبنوب فى الأول من شهر كيهك.

وأكَّد أبو صالح الأرمني أن هذا الدير مُحاطٌ بسور، وبه طاحونة وفرن ومعصرة وحصن كبير ومرتفع، بالإضافة إلى حديقة بها أشجار النخيل وأنواع أخرى من الأشجار والنباتات. وقد وَهَبَ بعض الخُلفاء عشرين فدانًا من الأرض السوداء لهذا الدير[١٧]. ولا يوجد الآن في سمالوط أيُّ دير باسم: "القديس أبو فام". فربما كانت رواية أبو صالح الأرمني خاطئة، وربما كانت صحيحة. غير أنَّ الدير قد تهدَّم واختفت كلُّ معالمه في عصرٍ ما من عصور الاضطهاد الطويلة التي مرت بها الكنيسة القبطية الأرثوذكسية.

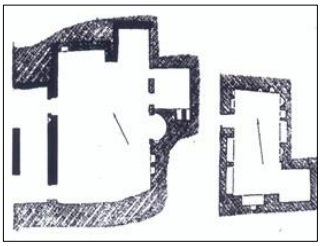

(الشكل رقم ٣) منظر عام لدير "القديس أبو فام الجندي" في ملوي،
نقلًا عن الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"* ، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٥٦.

دير أبو فام الجندي في البرشا:

يوجد هذا الدير في مغارات مقابر الشيخ سعيد جنوب البرشا[١٨] **(الشكل رقم ٣)**. ويتمُّ الوصول إليه من عبَّارة ملوي، ثم الوصول إلى البرشا على بُعْد ثلاث كيلومترات من العبَّارة. وعادةً ما تكون الزيارة بصُحْبة خفير الآثار حتى يتم فتح المقابر المنحوتة في الجبل على بُعْد أربع كيلومترات جنوب البرشا. ففي وسط المقابر المصرية القديمة، أُنشئت كنيستان

(17) R.G. Coquin & S.J. Maurice Martin, "Dayr Abu Bifam", *CoptEnc.3*, (ed.) A.S. Atiya, New York, 1991, 696b-967a.

(١٨) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"* ، القاهرة، ٢٠٠٢، ص. ١٥٦.

قبطيتان. توجد واحدة منهما داخل المقبرة رقم "٢٥"، والتى عُثِرَ فيها على بقايا أكتاف وبعض التيجان قبطية الطراز، بالإضافة إلى حنية أو حضن الآب في الناحية الشرقية. وبهذه الكنيسة حجرة جانبية للهيكل. ويُعرف هذا الدير لدى أغلب سكان المنطقة والمناطق المجاورة باسم: "دير أبو فام الجندي".

وجديرٌ بالذِّكْر أنَّ وجود كلِّ هذه العناصر المعمارية، هو دليلٌ قاطع على استخدام هذه المقبرة المصرية القديمة ككنيسة في العصور المسيحية الأولى في مصر، وبالأخص في عصور الاضطهاد الروماني، وكذلك بعد أن أصبحت مصر رسميًّا دولة مسيحية في أواخر النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي. ففي هذه الفترة التاريخية المُبكِّرة، لم تكن الكنائس موجودة بشكلها المعماري والأثري المألوف حاليًّا.

وتجدر بنا الإشارة كذلك إلى بعض الكنائس الأُخرى التي تحمل اسم "القديس أبو فام" مثل:

١ – "كنيسة الشهيد أبو فام الجندي" بقرية المراشدة بالوقف في مدينة بقنا.

٢ – "كنيسة أبو فام الجندي" بالبرجاية بالمنيا وتتبع إيبارشيَّة المنيا وأبو قرقاص وتوابعها.

٣ – "كنيسة القديسة مريم والشهيد أبو فام الجندي" بأوسيم بالجيزة.

الخاتمة:

وختامًا، يُعتَقَد أنَّ اسم "أبو فام" قد أُطلِق على اثنين أو ثلاثة من القدِّيسين الأقباط في مصر. وقد عاش كلٌّ منهم ودُفِن في مكانٍ مختلف عن الآخر. كما يُستَشَف من كلِّ ما سبق تعدُّد وتنوُّع الأديرة والكنائس القبطية التي تُعرَف باسم "القديس أبو فام" في مصر، سواء القديمة منها أو الحديثة. وقد شُيِّدت أغلب هذه المنشآت الدينية في كلٍّ من مصر الوسطى والعُليا في عصورٍ تاريخية مختلفة. واختلفت وتنوَّعت آراء مؤرِّخي العصرَيْن الفاطمي والمملوكي والباحثين الغربيين، حول شخصية "القديس أبو فام" والأماكن الأصلية للأبنية المُكرَّسة باسم هذا القديس. ومنها ما هو موجودٌ حتى اليوم، ومنها ما قد اندثر ولم يتبقَّ له أيُّ أثرٍ.

وتجدر بنا الإشارة إلى أن "القديس أبو فام" هو واحدٌ من مجموعة كبيرة من القدِّيسين والشهداء الذين تحمَّلوا مختلف أنواع الاضطهادات بسبب إصرارهم على تمسُّكهم بعقيدتهم المسيحية، حتى تُوِّجَت مجهوداتهم وتضحياتهم الكبيرة بانتصار دينهم الجديد على كلِّ أشكال الوثنية السابقة.